اللعبة القديمة والمسرح المتداعي

تلك البدعة التي ابتدعها الرئيس تقي الدين الصلح ليجعل استمراره في الحكم ممكنا بأن وضع المجلس كله في الحكومة ، لن تتكرر · فهي من الالاعيب التي تحدث مرة واحدة ثم لا تلبث ان تعصف بها رياح القضايا الحقيقية للبلاد ، وهي قضايا لا يمكن ان تحجبها البدع والالاعيب السياسية ·

وبسقوط «حكومة كل المجلس» سقط المجلس هو أيضا ، فلم يعد يجدي التفتيش عن بدعة جديدة او قديمة كأن تستمر الحكومة وهي مستقيلة فترة طويلة الى ان يحل المجلس وتجري الانتخابات ، ويكسب اهل الحكم وقتا بالهاء المواطنين عن القضايا الاساسية ·

وقد اصبحت هذه اللعبة مملة حتى في نظر لاعبيها الذين شاخوا وشاخت معهم ، ناهيك بأنها لم تعد مجدية ولا مسلية · فهي مشهد من المشاهد التي يطلق عليها الناس في الافلام البائخة « سينما اونطة » !

ثم يتحدثون عن حكومة من الشباب ظنا منهم انهم بذلك يفرجون من هموم الاجيال الجديدة ، حتى اذا فشل «الشباب» – وهم سيفشلون قطعا – يصبح من الممكن التستير على العلة الفعلية بردها الى غير اسبابها · سيقولون : ها قد جئنا بالشباب ، وهذه هي النتيجة ·· فماذا تريدون بعد ؟

فالعلة ليست في الاشخاص شبابا كانوا ام شيوخا · العلة في الاطار الذي يحيطهم ويحكم اعمالهم وتصرفاتهم ومناهجهم . كالماء الزلال الذي يخزن في وعاء عفن فاذا به يصبح آسنا ملوثا ·

ولعل سقوط حكومة تقي الدين الصلح ، وصعوبة تشكيل حكومة من نوعها ، تقدمان دليلا واضحا على أن اللعبة التي استمرت ربع قرن قد اشرفت على نهايتها · تعب اللاعبون واهترأ المسرح وانفض المشاهدون ·

ويقولون ما هو الحل ، اذن · اهو في تغيير اللاعبين الشائخين ام في ترميم المسرح المتداعي ، ام في تقديم مسرحية جديدة ؟

الحل هو ان يتغير الاطار كله · وان تكون الاشكال الظاهرة على المسرح ممثلة تمثيلا صحيحا لجوهر القضايا التي تعيشها البلاد · ان تصبح للحياة السياسية مناهج وبرامج يسأل ويحاسب عنها اصحابها ان يأتي الى الحكم ممثلو الاحزاب والنقابات والعمال والفلاحين والطلاب والجنود في اطار نظيف ووفق برامج وطنية سليمة تتضاءل فيها الشخصانية وتتعزز الروح الجماعية والحريات الديمقراطية الى اوسع مدى ·

ويقولون ان ذلك يقتضي تعديل الدستور وتغيير القوانين · فليكن · وهل الدساتير والقوانين اشياء مقدسة لا تمس ام انها تعبير عن الظروف التي يعيشها الناس ، تتغير بتغير الظروف ؟

وبغير ذلك لن يصبح لبنان وطنا شرعيا · بل سيبقى وضعا مؤقتا الى ان تعصف به موجة من داخله ·· وربما من خارجه ·· وهي اتية لا ريب فيها ·

سليمان الفرزلي